النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

منظمة حرية الثقافة .. ايضا !

لايزال نشاط « منظمة حرية الثقافة » المشبوه في لبنان يثير اهتمام الادباء والنقاد عندنا ، باعتبار ان هذا النشاط يسيء الى سمعة النتاج الوطني الرصين ، مادامت هذه المنظمة تفسح في مجلاتها الاجنبية اوسع مجال للدعاية الصهيونية وتمجيد اسرائيل ومهاجمة العرب في قوميتهم وثقافتهم .

ولا شك في ان الحملة التي قامت بها الصحافة الوطنية في لبنان على نشاط هذه المنظمة قد كان له صدى كبير في مختلف اوساط المثقفين العرب ، في جميع البلدان العربية ، حتى ان رئاسة تحرير مجلة « حوار » التي تصدر في بيروت عن هذه المنظمة اصبحت تشكو مر الشكوى من امتناع معظم ادباء العربية عن التعاون معها والكتابة فيها ، بالرغم من التعويضات المادية المغرية التي تعرضها المجلة على الادباء مقابل مقالاتهم ...

وقد ارتاحت الاوساط الادبية في لبنان للمقالات التي كتبت اخيرا في صحف الجمهورية العربية المتحدة في فضح نشاط منظمة حرية الثقافة ، بالرغم من ان هذه المقالات قد جاءت متأخرة ... ولكن اوساط المثقفين في الجمهورية العربية المتحدة بدأوا يلمسون الاضرار التي تنشأ عن ترك هذه المنظمة تمارس نشاطها بمختلف وجوهه فأخذوا ينبهون الى اخطارها ويطالبون بوقف نشاطها . ومن المؤسف ان بعض المفكرين مايزالون يصمون آذانهم ويتجاهلون هذا الامر ..

هذا وقد دعا النادي الثقافي العربي في بيروت الى جلستين عقدهما في مقره وشهدهما عدد من الادباء اللبنانيين وقد ناقشوا في هاتين الجلستين قضية المنظمة نقاشا رصينا واستعرضوا نشاطها وتساءلوا عن مصادر تمويلها ، كما اطلعوا على ماتنشره مجلاتها الاجنبية من الدعاية للصهيونية واسرائيل . وتقرر في النهاية اصدار بيان حول هذا النشاط يوقعه الادباء اللبنانيون ، وسننشره في العدد القادم .

نداء من اصدقاء الكتاب

جاءنا من جمعية اصدقاء الكتاب النداء التالي في سبيل مكتبة جامعة الجزائر :

لقد كان من أهم المآسي الحضارية التي نزلت بالشعب الجزائري الباسل في حربه التحررية اقدام المستعمرين على نسف مكتبة جامعة الجزائر ، واحراق مئات الالوف من الكتب النفيسة التي كانت تضمها. والحكومة الجزائرية والشعب الجزائري يعملون الآن ، في خضم معركتهما التعميرية الضخمة ، على اعادة بناء تلك المكتبة وتزويدها بالكتب التي تحتاج اليها جامعة الجزائر لاداء مهمتها الثقافية للشباب الجزائري الناهض .

فتضامنا مع هذا المجهود الثقافي النبيل الذي يقوم به شعب عربي شقيق ، تدعو جمعية أصدقاء الكتاب في لبنان المؤلفين والناشرين واصحاب المكتبات والقيمين على دور الكتب وسائر المواطنين الى التبرع بالكتب والمؤلفات لتقديمها الى مكتبة جامعة الجزائر فيؤدون بذلك خدمة هي من صميم رسالة لبنان . يرجى من المتبرعين الاتصال بجمعية اصدقاء الكتاب (تلفون ٢٩١٠٢٧) لتتسلم الكتب وتتولى ارسالها باسمهم .

صدر حديثاً
لفقيد الادب العربي الكبير
مارون عبود

احاديث القرية

طبعة جديدة

على المحك

طبعة جديدة

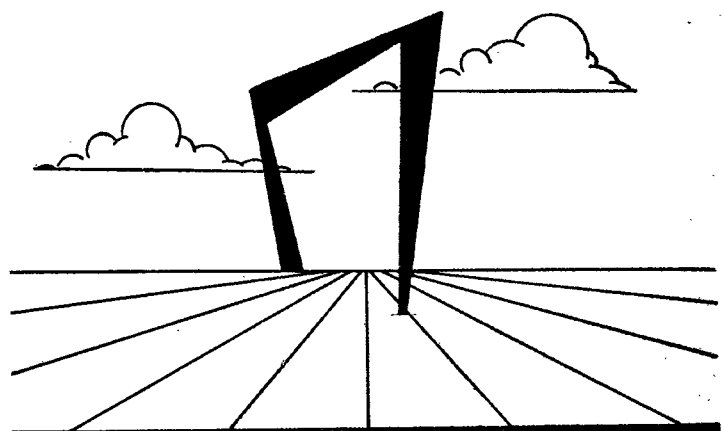

يطلب لدى المكتبات من عموم الكتب العربية من الناشر
دار الثقافة ص.ب ٥٤٣ تلفون ٢٣٠٥٦١ بيروت - لبنان
ومن عموم المكتبات في العالم العربي

الرجل والكلمات

لمراسل الاداب الخاص

●

مات لطفي السيد عن واحد وتسعين عاما .

ولطفي السيد كما يسمونه عندنا في مصر هو أستاذ الجيل . لانه استاذ طه حسين والعقاد والحكيم وهيكل والمازني وكل اعلام الجيل الاول من كتاب مصر .

ولطفي السيد يحتل عن جدارة مكانة عظيمة في الفكر العربي في مصر ، فهو الرجل الذي عقد الزواج الشرعي بين مصر العربية وبين الغرب ، ولولا هذا الزواج لكنا مازلنا حتى اليوم نتخبط في الظلال السوداء التي تركها على حياتنا الحكم العثماني المليء بالظلم والظلام ، والذي لم يكن يحمل معه يوما أي معنى من معاني التقدم او الحضارة.

ويمكننا ان نفهم الدور الكبير الذي لعبه لطفي السيد في حياتنا اذا رجعنا الى الكلمات الاساسية التي كان يرددها ويستخدمها دائما .

واذا راجعنا كتاباته وأهمها كتابه الكبير « صفحات مطوية » الذي صدر في مصر سنة ١٩٤٦ ، والذي يضم مجموعة من المقالات كتبها لطفي السيد مابين سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩١٢ ... اذا راجعنا هذا الكتاب ادركنا بوضوح ان الكلمات الرئيسية التي تشغل لطفي السيد هي :

الديموقراطية ـ الدستور ـ الحرية ـ الفرد .

وهذه الكلمات الاربع الخطيرة هي محور فلسفة لطفي السيد . ولم يكن هو بالطبع اول من دعا للدستور وللنظام الديموقراطي البرلماني، فهذه الدعوة قائمة في مصر منذ ايام الخديوي اسماعيل ، ولقد كانت الثورة العرابية في جوهرها دعوة الى الديموقراطية البرلمانية والدستور الذي يعطي للشعب حق انتخاب ممثليه وحكامه . ولكن لطفي السيد هو الذي سهر على هذه المعاني وبذل مجهودا ضخما لبلورة مفهومها العلمي ، ولجعلها حقيقة عامة مفهومة ومعروفة امام الحركة الوطنية المصرية كلها .

ولا شك ان لطفي السيد استطاع ان يساهم مساهمة كبرى في « شحن » العقل العام بهذه المعاني ، حتى قامت ثورة ١٩١٩ وهي مجموعة من المعاني الواضحة المحددة امام الجميع ، وبعد انتهاء الثورة كان من اهم اهدافها التي تحققت اعلان الدستور والنظام البرلماني سنة ١٩٢٣ .

وكان لطفي السيد مؤمنا بالحرية بمعناها الغربي « الليبرالي » . وقد دفعه هذا الايمان ـ كما أوضح الدكتور لويس عوض في مقاله القيم عنه بعدد ١٥ مارس من الاهرام ، الى ان ينادي بالحرية الاقتصادية ويرفض رفضا واضحا أي نوع من انواع تدخل الدولة في توجيه الانتاج . فالدولة في ذلك الوقت كانت تمثل مجموعة من الاقطاعيين والاستعماريين الذين لاتتفق مصلحتهم مع مصلحة الشعب ، بل تتناقض مع هذه المصالح تناقضا واضحا ... مما كان يؤكد ان تدخل الدولة سوف يؤدي حتما الى الاساءة لحقوق الشعب والاضرار بها .

اما الفرد ، فكان يؤمن به ايمانا كاملا ، وكان ايمانه بالفرد راجعا الى ان التراث الذي استند اليه في تحديد مفهومه عن المجتمع هو تراث « الفكر الثوري » البورجوازي في اوروبا في القرن التاسع عشر، لقد اخذ هذا المفهوم عن روسو وغيره من مفكري الثورة الفرنسية . وكانت هذه الافكار التي حملها الينا لطفي السيد بفهم وحماس كاملين أفكارا ثورية اذا نظرنا اليها في ضوء مجتمعنا القديم منذ خمسين سنة.

فالتطور الثوري الذي حدث في الفكر الاوروبي قائم على انكار الحقوق المقدسة لاي فئة من فئات المجتمع مثل الاقطاعيين والاشراف وغيرهم من العناصر السائدة في المجتمع الاوروبي قبل الثورة الفرنسية.

وانكار هذه الحقوق المقدسة يقوم على اساس ان لكل فرد في المجتمع له حق في الحياة المستقلة الحرة دون رق او استعباد او ضغط، من اقطاعي او شريف او ملك او رجل من رجال الكنيسة ، وعند هذه النقطة من الفكر الثوري الاوروبي وقف لطفي السيد ... فدعا الى الايمان بالفرد ، ورتب على هذه الدعوة : دعوته الواسعة الى التعليم، ودعوته الواسعة الى تحرير المرأة ، ودعوته الواسعة الى الحرية السياسية الكاملة والحرية الاقتصادية الكاملة .

وبذلك اصبح لطفي هو العقل الذي استطاع ان يساهم اكبر المساهمة في اخراجنا من ظروف المجتمع الاقطاعي الخاضع للاستعمار الى مجتمع بورجوازي مدني معاصر . وكانت هذه الانتقالة ولا شك هي التي مهدت الاساس الاكبر لقيام مجتمع يمكن ان تقوم فيه ثورة مختلفة ومتقدمة بأفكارها ومبادئها على افكار لطفي السيد ومبادئه، فالدعوة الى الاشتراكية لم يكن من السهل ان تظهر وتنتصر لولا وجود المجتمع المدني الذي نشأ في بلادنا قبل ثورة ١٩٥٢ .

وهكذا ساهم لطفي السيد في ايجاد موجة تحررية حضارية واسعة .. هي الموجة التي أنشأت الجامعات ، وحررت المرأة ، وساهمت في تدعيم كل المؤسسات الحضارية التي اخرجتنا من ظلام الاقطاع والعصر الاقطاعي .

واليوم ...

يمكننا ان نأخذ على لطفي السيد كثيرا من آرائه اذا نظرنا اليها بمنهجنا الحالي ... بمنهجنا الاشتراكي ومفاهيمه المختلفة عن الحرية والديموقراطية والتقدم ، يمكننا ان نأخذ عليه دعوته الى الديموقراطية البرلمانية واستبعاده للتفسير الاقتصادي للديموقراطية ، فالاشتراكية لاتؤمن بالمساواة امام صناديق الانتخاب فقط وانما تؤمن بالمساواة الاقتصادية قبل كل شيء .

يمكننا ان نأخذ عليه أخطاء مثل رأيه في عرابي والثورة العرابية.. فقد هاجم عرابي عندما نظر الى هذا الزعيم لا نظرة الثورة وانما نظرة الاصلاحي الذي يؤمن بالتطور التدريجي البطيء . ويمكننا ان نأخذ عليه رأيه في فتحي زغلول مثلا : فقد مجد فتحي زغلول واعتبره رجلا عظيما ، وفتحي زغلول هذا هو الرجل الذي اشترك في محكمة دنشواي المشهورة وحكم على الفلاحين بالاعدام .

ذلك لان لطفي السيد نظر الى فتحي زغلول كفرد ولم ينظر الى « دوره » في الحياة العامة . نظر اليه واعتبره عالما كبيرا من علماء القانون والادب . ولم ينظر اليه في ارتباطه بواقع مجتمعه .. ومن هنا كان خطأ لطفي السيد في فهم الاشخاص وتقدير دورهم .

يمكننا ان نأخذ على لطفي السيد مثل هذه الاخطاء ، ولكننا نظلمه بمثل هذا الموقف ونظلم التاريخ . فلطفي السيد كان اماما من أئمة التقدم في عصره . لقد فعل اقصى مايمكن ان يفعله العقل الكبير في سبيل تقدم بلاده التي كانت غارقة في ظلام مخيف نسجه الاقطاعيون والقصر الخديوي والانجليز . ولذلك فمن حق لطفي السيد ان نقول عنه اليوم وقد رحل عن دنيانا :

لقد رحل عنا رجل عظيم ، عاش طيلة حياته من اجل كلمات عظيمة فهمها بعمق ودافع عنها بعمق ، وأثمر فهمه ودفاعه خير الثمرات .

ومن اعظم الثمرات التي أثمرها فكر لطفي السيد : اننا اليوم قادرون على فهمه واستيعابه ... وقادرون بعد ذلك على نقده وتجاوزه. فهو الاب الروحي الحقيقي لكل ماأصابته بلادنا من تعليم وتفتح على الحضارة الغربية .

الاسطورة .. والرمز .. والثورة ..

●

منذ عامين تقريبا اصدر الاستاذ محمد محمود الزبيري كتابا أسماء « مأساة واق الواق » .. وهي قصة كتبها بأسلوب رمزي يعبر فيها عن سخط الالهة والملائكة وشعوب الارض جميعا على بيت حميد الدين وعلى رأسهم الافعى الطاغية يحيى حميد الدين الذي اغتاله الاحرار عام ١٩٤٨ .. ومجمل القصة ان « العزى » ـ أي المؤلف ـ والعزى لقب لمحمد كان يقال عز الاسلام الخ » ذهب الى الازهر فوجد مجموعة من العلماء يتدارسون مشاكل الارض وحين اقبل عليهم .حيوه ببشاشتهم المعهودة وضحكوا منه حين اخبرهم انه من بلد « الواق الواق » ولم يصدقوا ان أسطورة الواق الواق يمكن ان توجد في القرن العشرين .. في عالم الاقمار والصواريخ وسفن الفضاء واتفقوا معه على الذهاب الى المنوم المغناطيسي لكي يطلق روحه الحبيسة تتحدث عن احدى عجائب القرن العشرين « يمن الواق الواق السعيدة » .. وتنطلق الروح مع الملائكة الى الجنة تلتقي بالشهداء الاحرار الذين سقطوا صرعى السيف كالبطل العراقي جميل جمال والبطل الجزائري الفضيل الورتلاني وغيرهم من الابطال أمثال الموشكي والحورشي والمسمري .. وينتهي المطاف بالروح لتلتقي في صلب الجحيم « بالعماد » (والعماد لقب للامام يحيى ـ وكل اسم في اليمن له مرادف في الالقاب) وتنتهي رحلة الروح بعد ان تكون قد تحاورت وتداورت مع الملائكة والشهداء والطغاة ..

هذا هو مجمل القصة الرمزية التي كتبها شاعر اليمن الزبيري.. وهي تعتبر اول حدث من نوعه استطاع بها الزبيري ان يتسرب الى قلوب المتطلعين الى الحرية في اليمن .. ووجد فيها الشعب سلواه فحفظها بعضهم ظهرا عن قلب .. وفي اعتقادي انها اصلح وانجح عمل ادبي قدمه الادباء الثوار للشعب العربي في اليمن .. انها شيء جديد يمكن لكل اديب عربي ان يحتذيه في معالجة مشاكل الاستبداد والرق والعبودية الكامنةفي الجزيرة العربية وعلىسواحل الخليج العربي ـوحتى لدى الاقليات التي تثير بعض المشاكل في الوطن العربي كأقلية الاشوريين في العراق والبرابرة في شمال افريقيا العربية .

انها أنجح عمل لانها تحرض على الثورة ضد كل عفونة بنفس منطق الذين يلدون العفن ويستمدون البقاء منه .. كتبها الزبيري ليقاوم بها أساليب الطغاة وهو يقول :

« ان أنجح عمل لمقاومة الطغيان في اليمن العربي هو اتباع نفس الاسلوب الذي يحذر الطغيان به الشعب .. بيت « حميد الدين »يحكمون اليمن باسم الدين فلنجرب مقاومتهم عن طريق الدين نفسه .. شعبنا البدائي اليوم لايعرف معنى الحرية او معنى الاستبداد .. ولن يعرفها عن طريق الخطب والنشرات الرنانة .. بل عن الطريق الوحيد الذي يمس شغاف قلبه .. الدين » ..

كانت هذه هي كلمات الزبيري في مجملها وهو يبرر رمزيته الجديدة « واق الواق » يوم صدورها .. من واقع الشعب نفسه استمد الزبيري مادة كتابه وهو الواقع المؤلم .. واقع الصراع بين الزبود والشوافع.. واقع الدجالين اصحاب العمائم الذين كانوا يمسكون المصاحف الشريفة والرشاوي في آن واحد .. وها هو الزبيري يطوف بجهنم .. يلتقي بالمعممين والقضاة « فاذا عمائمهم الجهنمية تقتلع جماجمهم ثم تأكل ادمغتهم ووجوههم حتى تبلغ الى رقابهم فيسقطون .

ولما نهض واحد منهم بعد صرعته بادره العزى محمود قائلا :

ـ من أنت ..؟

ـ من أنا ...؟ لا احب ان اذكر لك اسمي حتى تذكر لي اسمك..

ـ أنا العزى محمود ...

وصاح هذا المعمم بأعلى صوته صيحة الويل والثبور :

ـ وأسفاه انك انت وصحبك الاحرار أردتم ان تحررونا من العبودية فلم نتحرر وآثرنا ان نبقى عبيدا للطاغية « العماد » ثم لابنه من بعده ورضينا ان نكون اذنابا للطغاة وآلة في أيديهم لتعذيب الشعب .. الخ »

لقد التقى الزبيري في رحلته الخيالية بالفئات العديدة منالدجالين والقضاة والمخرفين من الاذناب الذين أعانوا بيت حميد الدين وأسهموا في التنكيل بالشعب العربي في اليمن .. لقد التقى بهؤلاء وكان مكان اللقاء جهنم .. في جهنم التقى بمشاهير جهنم أمثال نيرون وجنكيزخان و « العماد » ولم يجد اهل الجحيم اسما يطلقونه على الطاغية «العماد» .. وهنا تبلغ المأساة قمتها.. والسخرية ذروتها .. بكل مرارة .. بكل سخرية من القاهرة وصحافتها يوم كانت تغض الانظار عن أبشع ظلم حل بالانسان العربي في اليمن برغم بدء سياسة « اللامهادنة » .. أهل الجحيم يحجمون عن ذكر اسم الطاغية فيقول لهم الزبيري معاتبا : « داخل الجحيم » ..

ـ انكم انتم السبب في احجامي عن ذكر اسمه الاشهر .

ـ أنحن السبب ؟

ـ لستم السبب أنتم بالذات بل الصحافيون الاحياء والناشرون وأصحاب المطابع .. انني لو ذكرت اسمه الكامل لامتنع الصحفيون عن ذكر كلمة واحدة عن كتابي وامتنع الناشرون والموزعون وأصحاب المطابع عن طبعه وتوزيعه وهكذا نجد نفوذه الشيطاني حيث كنا »

وبمثل هذه الرمزية الرائعة يمكن أن نعالج المشاكل الماثلة في الوطن العربي اذا اتبعنا هذا الاسلوب الادبي الجديد .. لقد تسربت الرمزية بكل تفاصيلها الى شعبنا العربي في اليمن .. وتأثر بها وبأبطالها .. وقدمت له جوانب الحياة نفسها كما تدور في القصور وبين صفوف الشعب وان كان رمز القصور هو الجحيم نفسه .. أما الشعب فقد التقى به الزبيري في الجنة .

كانت الرمزية تلائم أذواقا معينة .. وهذه الاذواق هي التي لم تتمتع بالادب أو الفكر يوما .. فنجحت الرمزية في اليمن نجاحا رائعا .. أقول هذا برغم أنها ليس فيها ما يشد القارىء العربي العادي الى متابعتها .. ولكن الفراغ والجدب والتخلف الذي عاناه الشعب العربي في اليمن هو الذي أكسبها قوتها ونجاحها ..

لم تكن مسرحية بالمعنى الواسع ـ كما أسمتها الدكتوره بنت الشاطىء ـ لانها لا تمت الى المسرح بصلة لا في شكلها العام ولا حتى الحوار الذي دار على ألسن الابطال .. بل هي أقرب الى الاسلوب التقريري الذي يغلب عليه الوصف .. « يبلغ الارهاص الثوري فيها ذروته وتعتبر طليعة البعث الادبي ودعاء الفجر الجديد » .

لقد كتب الزبيري هذه الرمزية في أحلك أيامه واليأس يدب في قلبه .. منذ عامين يوم كان يعاني الضياع والتشرد والمحنة في شقة على السطوح .. كتبها على أنها الطريق الاخير أو آخر وسيلة لافهام الشعب أن لا بد أن يثور على حكامه ..

لم يكن فيها من الارهاص الثوري شيء سوى معاناة الضياع والتشرد معا .. لان الارهاص يعقبه خصب .. الارهاص تمهيد للفكر ومرحلة منه ينتقل بعدها الفكر الى الغزارة والانتاج .. والامة العربية في مرحلة ارهاص يبدأ بعده البعث المنتظر .. هذا هو مفهوم الارهاص كما أتصوره وحتى (رواية) الزبيري الرمزية .. لو قرأها المثقف العادي لما أحس لها قيمة أدبية أو تذوق فيها شيئا .. مجرد رمزية دينية كتبت للذين يعانون الظلم باسم الدين .. كتبها الزبيري في مرحلة بدأ يفكر فيها عن مراحل جديدة للنضال ضد الملكية المتعفنة .. في وقت زادت أسوار العزلة .. وزاد الفساد .. وزاد تغاضي أنظار الاصدقاء الاحرار .. كتبها ليشير بها في نفس الوقت لاصدقائه الاحرار معاتبا ليقول .. « حتى أنت يا بروتس » !!.. ولم يكن « بروتس » هذا

ليكترث للزبيري أو لعتاب مئات المثقفين أمثال الزبيري .. لقد كان «بروتس» يتصور ان بالامكان مقاومة العفن بأقناع العفن نفسه أن يتخلى عن نفسه وبهذه النظرة الخيالية مضى « بروتس » يقاوم العفن .. ولا يسمح للاحرار أعداء العفن حتى بالقاء اقتراح .. مجرد اقتراح .. مجاملة للعفن .. والمتعفنين .. كتبها الزبيري على أنها طريق آخر من طرق افهام الشعب وتنويره .. ولم تكن هي من أسباب الثورة المباشرة أو اللامباشرة حتى (يبلغ الارهاص الثوري فيها ذروته) .. لان الشعب كان يعاني فراغا ما بعده فراغ .. الشعب كان أشبه بحلقة وسطي بين القرون الاولى وهذا القرن .. كان يعيش في دوامة من الفراغ الهائل القاتل .. المقابر خارج صنعاء ثلاثة أضعافها .. والاحياء داخل أسوارها أشباه موتى جياع عراة حفاة .. وعشرات المعممين فقط هم الذين تمتعوا في ظل الحكم المتوكلي بحياة القرنين التاسع عشر والعشرين وهؤلاء ارتدى بعضهم ثياب القرن العشرين وبعضهم وصلت اليه كتب القرن العشرين . أما الشعب .. الشعب بمعناه الواسع .. الملايين الخمسة العربية فقد كانت جائعة وعارية .. كانت الملايين كلها حلقة وسطي بين فلول آدم في القرون الاولى وفلول حواء في القرون الاخيرة .. « فلول حواء هي الظاهرة على القرن العشرين بما فيه من مدنية ومساواة وخير وجمال »!!

لقد استعار الزبيري في هذه الرواية الاماكن وبعض أسماء أفاضل الاسلام أمثال « علي بن ابي طالب » .. وبعض الشهداء .. واستعار بعض الاماكن والاسماء الحقيقية ومزج الكل في رمزية أعطى لها عنوانا رمزيا يناسبها هو « واق الواق » .. بكل ما فيها من بدائية وبهيمية ودجل وعرى وفقر وذل جذور مأساة اليمن كلها .. تحسسها الزبيري وأدركها في آونة من آونات النضال المصبوغ باليأس والتحدي المشبوب باليأس أيضا ..

ظروف النضال عام ١٩٥٨ تميزت بالنسبة لليمن العربية بانقسامات وتمزق في صفوف طلائعها الثائرة الشابة .. بعض هذه الطلائع دخلت مراحل الالتزام العقائدي مسايرة لركب الامة العربية الثائرة .. وبعضها ارتد ليساير ظروف الدين وليتخلف بعقليته عن تمييز الدين والقومية .. وبعضها تطاول الى أبعد من ذلك ليرى في العالم كله أناسا بلا تمييز ولا فرق ..... أقول انقسمت طلائع النضال الى أقسام تتفاوت في العقلية والمبدأ ... وحتى الزمن .. ورأي الزبيري في هذا نكبة الحركة الوطنية نفسها فآمن بالمبادىء العربية العقائدية أو تسربت الى نفسه وكفر بالاحزاب والحزبية .. وحافظ على ثوريته (المصبوغة بالدينية) ليساير الركب الاخر .. وتغلغلت في أعماق الافكار الاشتراكية ولكنه لم يكن يؤمن أو يحبذ اهتمام الثائرين من الشباب ومشاركتهم لاحداث الوطن العربي .. كان يرى أن يكون اليمن العربي أولا هو أحق بالاهتمام .. والاهتمام به هو الاهتمام بالعروبة كلها .. كان يرى أن العمل من أجل اليمن هو العمل من أجل العروبة كلها ولم يكن يستطيع هو نفسه أن يصرف نفسه عن أحداث الوطن العربي .. لم تشغله أحداث اليمن وبؤسها عن الانفعال للاعاصير الثائرة التي تجتاح الوطن العربي والامة العربية .. وزادت النكبة أن تمزق « الاتحاد اليمني » الى أن كان مصيره أن أغلقته سلطات الاحتلال في عاصمة اليمن الجنوبية ـ عدن ـ .. وهكذا تميزت تلك الظروف عن عمل من جانبه وحده .. لم يعد له سوى طريقه الفردي (رغم الحاحه للشباب بالعمل الجماعي) لاصدار النشرات والدواوين الشعرية والرمزية المذكورة ..

جاءت « واق الواق » لتؤكد أن العمل من أجل قضية الشعب العربي في اليمن يجب أن يبدأ فورا..وأن القضية هي قضية الساعة..

كانت تعبيرا فرديا وطريقا للنضال باسلوب جديد وطريق جديد أيضا يلائم الاذواق البائسة هناك .. يؤكد فساد الحكم الامامي وفساد الائمة أنفسهم بنفس الاسماء والاستعارات والاماكن الرمزية ..

فالملوك في الجحيم بكل من عاونهم وتذيل وتزلف اليهم .. جموع المعممين الذين اقترنت عمائمهم بالدجل والنفاق والعفن حتى أصبحت « العمة » رمزا لهذا كله تقترن بكل مساوىء الماضي وما فيه من عفن.

من ناحيتها الادبية ـ رمزية الزبيري ـ كانت رمزية ممجوجة تثير الضيق والملل فلم تكن طليعة بعث أدبي ـ كما أسمتها الدكتوره بنت الشاطىء .. مع شديد احترامي لها .. لقد انصرف عن قراءتها المثقفون من شباب اليمن العربي وملوها وعدوها طريقا قديما من طرق معالجة القضية .. ليس فيها ما يثير .. وليس فيها أي جديد قدمه الزبيري.. سوى تقديم القضية في شكلها الرمزي الديني .. لقد كان اليأس والضياع ـ وحتى البؤس ـ احد عوامل الاجداب التي عاناها الزبيري في فترات تشرده في القاهرة .. فلم يلتفت اليه أحد .. أوحت اليه أحزانه أن يتأمل في أحزان الشعب .. أن يطلق روحه من عقالها لتحلق في الفضاء المطلق لترى أن الملوك في الجحيم ومصيرهم النار حتما .. أما الشعب البائس فالى جنة الرضوان ... علامة ـ في المضمون ـ من علامات تطمين الشعب وتصبيره على البؤس والذل .. يريد الزبيري برمزيته أن يقول للشعب :

ـ اصبروا .. ها نحن برغم التمزيق والفرق نؤدي واجبنا فاذا لم نفلح فالطغاة ذاهبون الى الجحيم حتما .. أما أنتم فالى الجنة التي كنتم بها توعدون ..

لم يكن الزبيري متوقعا انتشاب الثورة لتحطم العفن من جذوره بعد عامين ولم يكن يتوقع نشوبها الا بعد أعوام طويلة .. أو بمعجزة .. كان مستسلما وحزينا في نفس الوقت .. لقد قال في نهاية كتابه وكأنه يخاطب المقادير :

(« وكل تلك انما كانت رموزا لحقائق الحياة في وطني المجهول : (واق الواق) وطني الذي أرجو أن تكون لي رحلة أخرى اليه .. اما في الاحلام كالرحلة التي سجلها هذا الكتاب .. أو رحلة في الواقع .. في موكب العائدين الاحرار ») وحقا .. لم يكن الزبيري يدري الى أي رحلة سيذهب .. ولم يكن متوقعا أنه بعد عامين سيذهب في رحلة الواقع مع العائدين الاحرار ليبدأ النضال الاخر .. نضال تحرير العقلية العربية في اليمن العربي .

محمد الزرقه

منشورات تاريخية

صادرة عن المطبعة الكاثوليكية :

١ ـ **تاريخ مختصر الدول ، لابن العبري :** وقف على طبعه ووضع حواشيه انطون صالحاني (طبعة ثانية)

٢ ـ **تكملة تاريخ الطبري ، لمحمد بن عبد الملك الهمداني :** قدم له وحققه ووضع فهارسه البرت يوسف كنعان (طبعة ثانية)

٣ ـ **مقدمة في تاريخ صدر الاسلام :** بقلم الدكتور عبد العزيز الدوري (طبعة ثانية)

٤ ـ **صوت من لبنان :** مذكرات اسعد خياط نقلها عن الانكليزية ميخائيل صوايا

توزيع : المكتبة الشرقية
ساحة النجمة ـ بيروت

السودان

جانب من أزمتنا الفكرية

●

من الاشياء الواضحة للعيان وضوح الشمس في منتصف نهار الصيف عندنا .. أننا في هذه الآونة نكابد من أزمة فكرية حادة وتلفعنا بضبابها الكثيف الذي يزداد كل يوم تفاقما حتى بات الكثيرون يخشون، وهم محقون في ذلك ، ان تصيبنا بركود وجدب يستحيل معهما فيما بعد أي نوع من أنواع العلاج تماما كشأن أي داء ، مهما كان بسيطا ، ان لم يبحث له عن تشخيص وعلاج سريعين سيتطور لا محالة الى وباء معد خطير .

وهذه الازمة التي نحن الان بصدد الحديث عن بعض اسبابها الهامة ليست وليدة ظروف بسيطة عابرة حتى يمكن ان نظن انها سحابة صيف قد تنقشع في أية لحظة ، ولكنها وليدة جذور متشعبة ، ولكي نحاول أن نضع أيدينا على مكمن تلك الازمة بقدر الامكان .. علينا ان نرجع الى الوراء ونوغل في تاريخنا الحديث الى فترة زمنية تمتد الى ثلث قرن تقريبا . ففي تلك الفترة الهامة من تاريخ هذا البلد وأعني بها فترة الثلاثينيات وما قبلها بقليل كان الحال يختلف كثيرا عما هو عليه الان اذ كانت احوالنا الادبية والفكرية في غاية الحيوية وفي نمو صاعد، وكان المثقفون في تلك الفترة الحرجة لا يألون جهدا او يدخرون وسعا في النهل من الثقافة والفكر وينيرون الطريق أمام مواطنيهم الطيبين البسطاء وذلك بالرغم من وجود المستعمر وتكميمه للافواه ووضعه العراقيل العديدة من مطاردةوسجن وتشريد وغير ذلك من ضروب التعسف والتنكيل التي يجيدها دائما المستعمرون في كل زمان ومكان ، ولكن مثقفينا لم تهن عزائمهم اطلاقا واستمروا في طريقهم الشاق الطويل ويجدون عن طريق مصر ما يريدون من روافد الثقافة وغيرها وظهرت مجلات عديدة ومنها مجلتا النهضة ١٩٣١ ، والفجر ١٩٣٤ وشهدتا نهضة ادبية وخاصة في مجال الشعر .

واستمر الحال على ذلك المنوال ، بين صعود وانخفاض ولكن بدون توقف ، الى ان قدر لهذه البلاد ان تنال أستقلالها وخرج المستعمرون الى غير رجعة وصارت البلاد خالصة لبنيها لكي يديروا دفتها بأنفسهم .

وكانت التجربة .

التجربة التي كان واضحا ان مثقفينا آنذاك لم يحسبوا لها حسابا وذلك لان المستعمر عندما كان موجودا ، كان للمثقفين هدف واضح محدد وهو خروج ذلك المستعمر وتحرير البلاد من نيره وعندما تم ذلك كان لا بد ان تواجه اولئك المثقفين تلك الفترة الحرجة والتي هي دائما من اشق واصعب الفترات في تاريخ الامم التي ابتليت بذلك الداء، اذ كانت تقع على عاتقهم مهمة الاضطلاع بمسؤولية مرحلة ما بعد الاستقلال وبلورتها سواء في مضمار الاقتصاد او الثقافة وغير ذلك ، ولكن مثقفينا بدلا من ان يقوموا بذلك الواجب الكبير الملقى على اكتافهم ظنوا ، ما عدا قلة لا تكاد تذكر ، ان دورهم قد انتهى بخروج المستعمر ولا شيء غير ذلك ، وعليهم اذن ان يركنوا للدعة والخمول وتجميد كافة نشاطهم الثقافي والفكري ، وآثر بعضهم الجري وراء الوظائف والمكاسب الشخصية وآثر آخرون الانزواء في ابراجهم العاجية او الزجاجية لست أدري ، وصار لا هم لهم سوى مضيعة الوقت في التفاهات والدوران في متاهات التمزق والضياع واللامبالاة وبالتالي خرجوا على الدوام فيما يختص بمشاكلنا الفكرية وغيرها بالصمت عن لا أو نعم تماما كانثى بشار الخالدة وتناسوا تماما ان دور الفكر هو ان يحمل النبهات الكبرى في حياة الانسان من اجل تنظيم خطوط واقعة المتشابكة حتى يتضح امامه طريق حياته . ان الفكر هو أشرق ما في الانسان وليس من الطبيعي ان يتخلى الانسان عن أشرق ما فيه كما قال بحق الاديب العربي رجاء النقاش ولكن الواضح ومنذ أمد طويل ان مثقفينا قد تخلوا عن أشرق ما فيهم ولم يعد يهمهم شيء .

وهذا الموقف المخجل الذي يقفه مثقفونا والذي لا يمكن ان يرضاه مخلص كثيرا ما أثار ويثير ضدهم عواصف اللوم والتقريع من حين لاخر، واقرب مثال في هذا الصدد ما قامت به احدى صحفنا اذ ذهبت الى بعضهم واخذت تسألهم عن السبب في انزوائهم وعدم مساهمتهم بالكتابة حتى في صحفنا المحلية وبالمحاضرات والندوات في سبيل تنوير مواطنيهم فكريا ، وسمعنا منهم عجبا على طريقة صمت دهرا ونطق كفرا ، اذ وضح من حديثهم انهم يرمون اللوم على غيرهم في ذلك ويعفون انفسهم ـ وهذا دأبهم دائما ـ من كل تبعة او واجبات ، واخذوا يتعللون بأن السبب في انزوائهم هو امتلاء ميدان الادب والصحافة بكل من هب ودب من غير المؤهلين ثقافيا بما في ذلك صحفيينا انفسهم ! ولذا ـ والحال كذلك ـ فهم قد آثروا الانزواء والصمت .

ولا حاجة بنا الى القول بأن هذه حجج متهافتة لا تقوى على الوقوف على قدميها .. وتبرير ضعيف واه . وقبل ان نجيب على هذا الادعاء نود ان نطرح سؤالا بسيطا ، وهو ، اذا فرضنا جدلا ان الميدان امتلأ بالجهلاء وكل من هب ودب فما السبب في ذلك يا ترى ؟؟ السبب في ذلك ، بلا مراء ، هو بعدهم وانزواؤهم عن ميادياننا الفكرية وبالتالي صار لا مناص او مفر من ان تمتلىء بكل من هب ودب ، كما يقولون ، وذلك على اساس نظرية الفراغ الفيزيائية المعروفة ، وبداهة ان ذلك الميدان لو وجد من يملأه منهم وساهموا بأقلامهم وافكارهم في ذلك الصدد لما وجد اولئك الدخلاء مجالا ـ بطبيعة الحال ـ ولوقفوا بعيدا وتركوا المجال لغيرهم ، اما ان ينزوي اولئك المثقفون بمحض ارادتهم ثم يتحسروا بعد ذلك ويمصمصوا شفاههم على المجال الذي امتلأ بكل من هب ودب فأمر يدعو للعجب والاسف .

هذا تقريبا موقف معظم المثقفين السودانيين ولا غرو اذن اذا ما ران علينا ضباب الجمود والركود اللذين اوشكا ان ينحدرا بنا الى هوة بعيدة الغور .

وأما بقية العاملين في الحقل الادبي وهم قلة ويساهمون حسب ظروفهم بالمحاضرات والندوات والكتابة في الصحف من حين لآخر ويعانون من وطأة مشاكل صعبة للغاية فيما يتعلق بطبع نتاجهم الذي يقبع منذ زمن طويل في طوايا الظلام لصعوبة النشر وتكاليفه ، ويقينا ان النتاج الذي طبع اخيرا من دواوين شعرية وغيرها .. كان سيلاقي نفس المصير لولا مساعدات الدكتور الانسان أحسان عباس غير المحدودة ومجهوداته التي ذللت الكثير من الصعاب في ذلك الصدد .

ولعل من أعوص العقبات التي تقف في سبيل تطورنا الادبي مشكلة النشر المستحكمة والتي تزداد كل يوم استفحالا وتفاقما دون ان تلوح في الافق بارقة من حل لها ، ومن طريق المفارقات ان ادباءنا فيما يختص بنشر نتاجهم ينقسمون الى قسمين ، قسم لديه نتاج جيد ولكنه لا يستطيع ان يخرج به للنور لضيق ذات اليد ، وقسم آخر لديه نتاج متهافت ضعيف ولكن افراده لديهم بعض الامكانيات المادية التي تمكنهم من طبعه ولذا كثيرا ما نراهم يتأبطون نتاجهم ذاك ويهرعون به الى القاهرة او بيروت لطبعه فيخرج نتاجا شائها وغير مكتمل فنيا وهذا ما وضح جليا في بعض القصص التي طبعت مؤخرا والتي يبدو ان اصحابها مغرمون فقط برؤية اسمائهم الكريمة مطبوعة على أغلفة كتبهم ولا شيء غير ذلك .

وهنا قد يتساءل البعض عن دور النقد عندنا ولماذا لا يرصد الطريق أمام هؤلاء الادعياء والذين يسيئون الى حركتنا الادبية بطبع مثل ذلك النتاج الضعيف الركيك ، ويتناول نتاجهم ذاك بالنقد المركز الحازم حتى يجعلهم يفكرون بروية مرات ومرات قبل الاقدام على طبع نتاجهم ؟؟

سؤال جميل ولا شك ، وهذا ما كان ينبغي ان يقوم به نقادنا فعلا. ولكنهم ، بدلا من القيام بذلك ، مشغولون تماما بالنيل من بعضهم البعض بالسباب والتجريح والتعصب للاصدقاء والمعارف وحتى صار النقد عندنا عموما يسير على طريقه :

وعين الرضا عن كل عيب كليله كما أن عين السخط تبدي المساويا

وتكون النتيجة الحتمية لتلك النظرة الضيقة لمفهوم النقد عراكا ومهاترات ونشر الغسيل القذر في العراء ، وذلك ما وضح جليا في المساجلات العنيفة العديدة التي نشبت منذ فترة ، وآخرها ما جرى بين الاستاذين محيي الدين فارس ومحمد محمد علي وانصارهما حول الغموض في شعر التجاني يوسف بشير وكانت النتيجة ان ترك المتعاركان الفاضلان التجاني وشعره جانبا وتناولا بعضهما جملة وتفصيلا .

وتفتقت مخيلة بعض أدبائنا الاخرين عن نوع طريف من النقد المهتريء العابث واطلقوا عليه « محكمة الادب » ونصبوا أنفسهم قضاة للادب مما يذكرنا بقضاة ومحاكم التفتيش ، وصرنا من حين لاخر نسمع عن ذلك العبث الذي يمتص وقتهم الضائع في ترهات ومماحكات يبعد عنها الادب الحق الجاد كل البعد . وآخر الامثلة لذلك تلك « المحكمة » التي شكلت لاحد صحفيينا الشعراء لانه تجرأ وأخذ يكتب بعض الشعر على النمط الجديد . وكأنما كتابة الشعر الجديد صارت جريمة لا تغتفر . وهكذا الوقت الثمين يمضي ببعض أدبائنا وهم لاهون وبينما ينكب ادباء آخرون في البلاد العربية الاخرى على ترجمة أرقى الثقافات وتصنيف المؤلفات والمقالات الجادة القيمة فيفذون أدبهم وينفعون أمتهم .

وأما هيئاتنا الادبية والتي كانت الآمال معقودة عليها ، فقد أصابتها عدوى الركود وأخذت تظهر حينا وتختفي احيانا . وحتى الندوة الادبية بأم درمان والتي كانت تعتبر من أنشط هيئاتنا وجمعياتنا الادبية اصابتها جرثومة الركود واصابت كذلك قراراتها الهامة التي اتخذتها في مهرجانها السنوي الذي عقد في سنة ١٩٦٠ (*) ولا بأس ان نذكرها مرة أخرى :

١ ـ تشجيع قيام جمعيات أدبية في اقاليم السودان المختلفة ، والعمل على ربطها ، وتقوية الرحلات ، والتعاون بينها .

٢ ـ العمل على انشاء دار نشر سودانية يكون اساسها مجلة أدبية سودانية .

٣ ـ اقامة مؤتمر آخر للادباء السودانيين تتمثل فيه كل الجمعيات الادبية السودانية لبحث الخطوات العملية لتنفيذ المشروعات الادبية .

٤ ـ الاتصال في الخارج بالادباء والجمعيات الادبية ، والصحافة وتدعيم الصلات بين الادباء ، ونشر الادب السوداني في نطاق عالمي .

وكما قلنا فان هذه القرارات الهامة لم تزل نائمة بالرغم من مضي عامين كاملين عليها وقد كان الكثيرون يعقدون عليها الامال في انتشال ادبنا من وهدته وخاصة فيما يتعلق بانشاء دار للنشر لاننا للان نفتقد تماما مثل تلك الدار مع الاسف .

هذه تقريبا صوره سريعة مجملة للموقف الراهن ، وهي صورة قد تكون قاتمة بعض الشيء وقد لا تعجب الكثيرين من « المتفائلين » ولكنها على كل حال الحقيقة المجردة كما لمستها عن قرب رضينا أم لم نرض . وعلينا ان اردنا معالجة قضايانا ومشاكلنا الادبية او غيرها الا نمارس سياسة دفن الرؤوس في الرمال ، ولكن علينا ابراز مشاكلنا تلك وتسليط ضوء كاف عليها حتى يتسنى لنا ـ ان كنا مخلصين جادين ـ ان نضع ايدينا على مكمن الضعف ثم نبحث بعد ذلك عن الدواء .

بور سودان **حسن احمد حسان**

(*) الاداب ـ العدد التاسع ـ السنة الثامنة ـ ايلول ١٩٦٠ (النشاط الثقافي في الوطن العربي) .

صدر اليوم عن :

دار الطليعة ـ بيروت

ص.ب ١٨١٣

*** السياسة العربية**

بين المبدأ والتطبيق

تأليف الاستاذ صلاح الدين البيطار

*** الجهاد الافضل**

تأليف عمار اويغان وزير الاصلاح الزراعي في الحكومة الجزائرية

تجربة الثورة الجزائرية

*** العرب وتجربة المأساة**

تأليف الاستاذ صديقي اسماعيل

بحث نفسي يكشف عن تفاعل النفس العربية في نوازعها عبر التاريخ حتى تصل الى وضعها الحاضر

*** فلسفة القلق**

تأليف مطاع صفدي

هذا الكتاب يبين لك معطيات عدم الاستقرار فاذا لديك شرح وتعليل لكل ما يثير تساؤلك في الحياة .

*** واقع الفكر اليمني**

تأليف سيمون دي بوفوار ـ ترجمة جورج طرابيشي

اماطة اللثام عن خديعة الاجيال : اليمن ومؤسساته

*** تجارة الرقيق في الشرق الاوسط**

تأليف س. أ. اوكلاغان

اعنف بحث لاخطر قضية في أعمق الملابسات في ردهات منازك اللذة والقصور الملكية حيث تضحي كرامة الانسان على مذبح اللذة قربانا لآله المال

*** ثورة ١٤ تموز**

وحقيقة الشيوعيين في العراق

طبعة جديدة : العهد القاسمي ، علاقة القومية الاشتراكية العربية بالشيوعية .

تأليف خلدون ساطع الحصري